ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام في إفريقيا

المؤتمر الدولي

الإسلام في إفريقيا

26-27 نوفمبر 2006

6-7 ذو القعدة 1427 هـ

14

الكتاب الرابع: أوراق المؤتمر



جامعة إفريقيا العالمية



جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

ليبيا



وزارة الإرشاد والأوقاف







جامعة إفريقيا العالمية **جمعية الدعوة الاسلامية العالمية** **وزارة الارشاد والاوقاف**

المؤتمر الدولي

الإسلام في إفريقيا

26 -27 نوفمبر 2006
6 - 7 ذو القعدة 1427

الكتاب الرابع: أوراق المؤتمر

الآفرو عربية ككيان سياسي وحضاري
(نموذج الدول العمانية بشرق أفريقيا)

أ.د/ رأفت غنيمي الشـــيخ*

مقدمـــــة

ظهر الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية ، وهي جزء من قارة آسيا ، وكانت القارة الأفريقية أول قارة من قارات العالم ينتقل إليها هـــذا الدين الجديد على يد المهاجرين المسلمين فراراً بـــدينهم مـــن اضـــطهاد المشركين ، وكانت أول هجرة إسلامية خارج شبه الجزيرة العربية ، بـــل خارج مكة المكرمة هي هجرة سيدنا عثمان بن عفان وزوجه رقية بنـــت سيدنا محمد بن عبد الله النبي المرسل ع ، وهي تلك الهجرة التي حـــدثت قبل هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يثرب بثماني سنوات ، حيث استقر عثمان وزوجه وثلاثة عشر مسلماً بمدينة زيلع الـــصومالية لمـــدة أربعة أشهر هي : رجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال عام 616م ، ثم عادوا إلى مكة المكرمة .

كما كانت ثاني هجرة إسلامية من مكـــة المكرمـــة ، تلـــك الهجـــرة المشهورة إلى أرض الحبشة ، والتي كان على رأسها جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلك الهجرة التي تركـــت أثـــراً مهماً في الأحباش بعد ما منح نجاشي الحبشة أعضاء الهجرة الإســـلامية حمايته لهم . كما كان

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - مؤسس معهد الدراسات الآسيوية - جامعة الزقازيق.

لهجرة عثمان ابن عفان أيضاً تأثيراتها الطيبة لدى الصوماليين ، الذين استقبلوا الدين الإسلامي بالترحيب . ولم يذكر عنهم أنهم أساءوا اســتقبال أعضاء الهجرة الإسلامية الأولى إلى أفريقيا ، وكان ذلك يدل على أهميــة أفريقيا في نظر المسلمين .

وقد سلك الإسلام عدة منافذ للدخول إلى القارة الأفريقية كان أهمها :

1ــ طريق شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس ، وقد تدفقت منه الهجرات الإسلامية والقبائل العربية إلى شمال ووسط أفريقيا وغربهــا ، بــاختراق الصحراء الكبرى مروراً بالواحات حتى المحيط الأطلسي .

2 ــ طريق بوغاز باب المندب وخليج عدن والمحيط الهندي ، ومنه نفــذ الإسلام إلى شرق أفريقيا وجنوبها ، وهو طريق بحري بعكــس الطريــق الأول الذي هو طريق بري[1].

وقد انتشر الإسلام في أفريقيا انتشاراً سريعاً بدون صــعوبات تــذكر لأن حملة الإسلام اعتبروا أنفسهم حملة رسالة إصلاح وســلام ، فكــانوا قدوة في سلوكهم مما جذب الوثنيين الأفارقة إلى اعتناق الدين الإسلامي ؛ دين هؤلاء العرب الذين لم يؤمنوا بنظرية تفــوق الأجنــاس ، أو وجــود جنس نقي ، بل تزاوجوا واختلطوا بالأفارقة وارتحلــت القبائــل العربيــة المسلمة في الصحراء الكبرى . وربطت بــين الأفارقــة شــمال القــارة ووسطها وشرقها وغربها[2] .

(1) عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ، ص 7 .

(2) د. عبد الملك عودة : السياسة والحكم في أفريقيا ، ص 58 .

وقد اخترق الدين الإسلامي في انتشاره بالقارة الأفريقية نطاق الغابات في غرب أفريقيا ، كما انتشر على طول الساحل الغربي ، ودخل مع بعض المهاجرين إلى الكنغو ، وكذلك الحال في شرق أفريقيا إذ نفذ الإسلام إلى جنوب السودان وهضبة البحيرات ، وتدفق إلى قلب هضبة الحبشة ، وتخطى ساحل شرق أفريقيا إلى المناطق الداخلية،ودخل جنوب أفريقيا مع المهاجرين المسلمين من سكان شبه القارة الهندية [3].

وكان الإسلام في انتشاره بإفريقيا يأتي مع موجات من العرب المسلمين الحاملين للرسالة الإسلامية من شبه الجزيرة العربية، وكانت كل موجة تؤدي دورها من حيث نشر الدين الإسلامي واللغة العربية والاختلاط بالسكان الأصليين ، كما كانت كل موجة تستقر في المكان الذي تنزل به أول الأمر سرعان ما تتجه إلى المناطق المجاورة لها ، لكي تنشر فيها نور الإيمان بالإسلام [1]. حتى أصبح عدد المسلمين في القارة الأفريقية اليوم يوازي ثلث سكان القارة يسكنون أنحاء القارة شمال وجنوب خط الاستواء [2].

الدول العمانية بشرق أفريقيا

(أ) الدولة النبهانية :

شهد أول القرن السابع الهجري (601هـ) الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي ظهور أول دولة عربية عمانية بشرق أفريقيا، وذلك حين هاجر من عمان ونتيجة لخلافات وقعت هناك "سليمان بن سليمان بن

---

(3) د . حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص 8 .

(1) Bartlett, V. : Struggle for Africa, P. 14.

(2) د. رأفت الشيخ : افريقيا في العلاقات الدولية ، ص 16 .

مظفر النبهاني" ، الذي كان ملكاً على عمان ونزل بساحل الـــزنج ليعيـــد تأسيس الملك النبهاني الذي انتهى في عمـــان عـــام 601هـــــ . ونظـــراً للشخصية التي كان يتمتع بها الملك سليمان النبهاني ، فقد استقبله العـــرب في جزيرة " بات " وكان معظمهم من إقليم عمان اســـتقبالاً طيبـــاً[3]، ثـــم تزوج سليمان من أميرة سواحيلية هي ابنة "إسحاق" حاكم الجزيرة ، وهو من سلالة الشيرازيين حكام " كلوة " ، وبعد إتمام الزواج تنازل "إســـحاق" عن الحكم في جزيرة "بات" لسليمان الذي أصبح أول حكام أســـرة "بنـــي نبهان" في الساحل الشرقي لإفريقيا [4].

وقد استطاعت الأسرة النبهانية أن تخضع معظم ساحل الـــزنج تحـــت لوائها وأن تجعل من جزيرة "بات" مركزاً للسلطة النبهانية التي بلغت شأناً كبيراً في بعض فترات من تاريخها ، وقد ضمت السلطنة إليها كلاً مـــن " قسمايو " و "براوة" و "مقديشو" و "مالنده" و "كلوة" و "ممبـــسة" ، وتلقـــب الملوك النبهانيون بلقب " يوانافومادي " وهو لقب سواحيلي تقليـــدي فيمـــا يبدو[1] ، وقد ظلت الأسرة النبهانية تحكم من " بات " حتى عـــام 1745م رغم وجود البرتغاليين في شرق أفريقيا[2].

ومما تجدر ملاحظته أن ساحل الزنج لم يشهد قيـــام دولـــة عربيـــة إسلامية واحدة ، أو لم يخضع كله على امتداده لسلطنة أو مملكة واحـــدة . بل شهد كثيراً من الوحدات السياسية الإسلامية التي دخلت في صراع مع

---

(3) د. جمال زكريا : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ص 61.

(4) د. عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ، ص 119.

(1) د. جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 62 .

(2) د. محمد أمين : تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطي ـــ مجلد العلاقات العربية الأفريقية ، ص 50 .

بعضها البعض ، بحيث لم تستطع مقاومة الغزو البرتغالي الذي استطاع أن ينفرد بكل وحدة سياسية ويخربها ، مما اضطر العرب إلى ترك الساحل والنزوح إلى داخل القارة ، وإن بقيت بعض هذه الوحدات السياسية خاصة تلك التي قامت في الجزر عربية الطابع ، إسلامية المنحي[3] .

وخلال فترة حكم الأسرة النبهانية التي استمرت من القرن الثالث عشر الميلادي حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادي في شرق أفريقيا ، وضعت أسس حضارة عربية إسلامية مزدهرة شملت مختلف حياة الناس في هذه الجهات الأفريقية ، ففي المجال الاقتصادي كانت التجارة في مقدمة نشاط أفريقيا في هذه الفترة التي توافد الكثيرين من التجار العرب والهنود المسلمين فيها على ساحل الزنج[4] .

وقد عمل هؤلاء التجار بنقل الحاصلات المتوفرة بشرق أفريقيا مثل العاج والذهب وريش النعام والعسل والجلود والموز واللؤلؤ والصمغ واللبان إلى البلدان المطلة على المحيط الهندي ، كما ظهرت هذه السلع في الأسواق العربية في الشام والعراق ومصر ، هذا إلى جانب الرقيق الذي كان التجار العرب يحصلون عليه من التجار الأفارقة [1]. وكان استخراج الذهب من منطقة "سفالة" ـ الذي شارك فيه العرب ـ من الأمور التي اهتم بها العرب في ساحل الزنج ، حيث كانت كميات كبيرة من ذهب " سفالة " يذهب إلى الدولة الإسلامية في بلاد العرب[2].

---

(3) د. جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 82 .

(4) نفس المرجع ، ص 63 .

(1) Coupland, R, : The Exploitation of East Africa P.18.

(2) د . جمال زكريا : نفس المرجع ، ص 76 .

كما دخلت الزراعة إلى بقاع كبيرة من ساحل الزنج في فترة الحكم النبهاني ، وظهرت كثير من النباتات التي زرعها العرب هناك مثل القرنفل وقصب السكر ، كما اهتم العرب بالرعي وتربية الماشية والأغنام ، كما أدخلوا تربية الإبل في تلك المناطق ، وكان من نتيجة الاهتمام بتربية هذه الحيوانات ازدهار تجارة الجلود .

ونتيجة لاختلاط العرب بالأفارقة انتشرت اللغة العربية والإسلام بين سكان الساحل الشرقي لأفريقيا ، كما عمل النبهانيون على انتشار التعليم الديني في المساجد والمدارس الدينية ، التي وفد إليها كثير من الوطنيين الأفارقة ليحفظوا القرآن الكريم ويتعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية ، كما ساعد تزاوج العرب مع الأفارقة في إدخال العادات والتقاليد العربية في ساحل الزنج سواء في المسكن أو الملبس أو العلاقات الاجتماعية.

وعلى سبيل المثال فقد تجلت الحضارة العربية في شرق أفريقيا في المباني المعمارية وتخطيط المدن وزخارف الأبواب والشبابيك ، كما أدخل العرب فن النقش والحفر والنحت وعقود البناء العالية ، والفسيفساء المتحدة مع الرخام الملون ، وقد ظهر ذلك بوضوح في قصور كلوة ومساجدها[1] .

(ب) دولة اليعاربة :

كان ظهور اليعاربة كقوة عربية كبيرة في عمان وقفت بصلابة ضد الوجود البرتغالي في منطقة الخليج العربي مشجعاً لسكان شرق أفريقيا ذوي الأصول العربية على أن يطلبوا مساعدة بني دينهم ، وفعلاً بعث حكام كل من "زنجبار" و " بمبا " وغيرها إلى إخوانهم في عمان يطلبون

(1) عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص 79 وما بعدها .

منهم المعونة ويمكن لنا أن نلاحظ أن هناك ثلاثة ركائز اعتمدت عليها دولة اليعاربة عندما انطلقت من عمان تبسط نفوذها على أجزاء من سواحل المحيط الهندي في شرق أفريقيا وفي الهند ، وهذه الركائز هي :

الركيزة الأولى : نجاح الدولة في تكوين قوة بحرية كبيرة استطاعت بواسطتها مد نفوذها عبر البحار من ناحية ، كما استطاعت أن تحولها إلى جسر يربط بين سائر مناطق الدولة في الخليج العربي وشرق أفريقيا والمحيط الهندي من ناحية أخرى .

الركيزة الثانية : التحدي الذي ترتب على الوجود البرتغالي في مناطق امتداد اليعاربة ، ولما كانت الدولة الجديدة قد نجحت في تحدي هذا الوجود في الخليج العربي والقضاء عليه، فإن هذا النجاح قد أغراها بمزيد من العمل على تعقبه خارج الخليج ، تدفعها إلى ذلك روح دينية قوية للتخلص من السيطرة المسيحية على أرض كان يحكمها العرب المسلمون قبل ذلك.

الركيزة الثالثة : وهي تتصل بالركيزة الثانية ، ذلك أن عرب الخليج والعمانيين بالذات كانوا موجودين في تلك المناطق منذ وقت طويل قبل الإسلام ، وأن جذورهم لم تكن قد انقطعت بعد مما كان باعثاً لهم على العودة إليها[1].

وخلال فترة اليعاربة في عمان والتي امتدت من عام 1624م إلى عام 1741م شهدت مياه الخليج العربي والمحيط الهندي صراعاً طويلاً وعنيفاً بين العمانيين والبرتغاليين انتهى لصالح العمانيين والعرب بصفة

(1) عائشة السيار : دولة اليعاربة ، ص ص 64 ، 65 .

عامة، سواء بإجلاء البرتغاليين من الخليج العربي ، أو بانتهاء النفوذ البرتغالي في ساحل الزنج من رأس " جرادفون" شمالاً إلى رأس " دلاجادو " جنوباً ، واستند اليعاربة على بحريتهم التي صارت سيدة المحيط الهندي خلال الفترة من نهاية القرن السابع عشر الميلادي حتى أوائل القرن الثامن عشر[2]. وقد ذكر أن الإمام "سلطان بن سيف" ثاني حكام عمان اليعاربة (1649 ــ 1668م) امتلك أربعة وعشرين مركباً أسماؤها " الملك " و " الفلك " .. الخ . وأن السفينة " الملك " عليها ثمانون مدفعاً[3] .

وقد نجح اليعاربة بالفعل أواخر الخمسينيات من القرن السابع عشر في الانتصار على البرتغاليين وطردهم من مسقط على يد الإمام "سلطان بن سيف" ، ومن ثم شرع في تتبع البرتغاليين في الهند ، وفي شرق أفريقيا مستجيباً في ذلك لاستنجاد المسلمين الذين تربطهم بالعمانيين وشائج متينة منذ القدم[1]،وقد استطاعت دولة اليعاربة بالفعل أن تقضي على سيطرة البرتغاليين في شرق أفريقيا ، كما قضت على سيطرتهم في كل من عمان والخليج العربي[2]، وفي عهد الإمام " سلطان بن سيف " استطاع العمانيون الاستيلاء على "ممبسة" في 14 ديسمبر 1698م بعد حصار عنيف دام ثلاثة وثلاثين شهراً سقطت خلاله أقوى قلعة أقامها البرتغاليون في ساحل أفريقيا الشرقي[3] وكان قد سبق للعمانيين في عهد

---

(2) المرجع نفسه ، ص 65 .

(3) نور الدين السالمي : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج 2 ، ص 100 .

(1) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص 46 .

(2) د . جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 105 .

(3) د . محمد أمين : المرجع السابق ، ص 82 .

الإمام "سلطان بن سيف" أيضاً عام 1679م الاستيلاء على " بات " و " زنجبار " و " بمبا "(4) .

وقد بعث الإمام " سيف بن سلطان بن سيف " في عام 1728م بأحد رجاله ويدعى " محمد بن سعيد المعموري " ليكون نائباً عنه في حكم " ممبسة " . ونجح ذلك الرجل في إخضاع " زنجبار " وغيرها من مدن وجزر الساحل ، فأصبحت من توابع عمان ، إذ كانت تدفع الجزية السنوية لدولة اليعاربة ، وهكذا وجدت السيطرة العمانية بساحل الزنج مكان السيطرة البرتغالية المنهارة ، وعين الإمام " سيف بن سلطان بن سيف " على هذه الجهات بعض الأسر العربية للحكم باسمه ، فعين أسرة " الحارث " على جزيرة "زنجبار"، وأسرة " النبهاني " لحكم " بات " ، وأسرة " المعموري " لحكم " ممبسة " ، وتلتها أسرة "المزروعي" ، وكانت هذه الأسرة الأخيرة خاضعة خضوعاً أسمياً لأئمة عمان من اليعاربة(5) .

ويعتقد المؤرخون أن سقوط " ممبسة " بصفة خاصة في يد العمانيين عام 1698م باستخلاصها من البرتغاليين كان من الممكن أن يؤدي بالإمام "سيف بن سلطان بن سيف " الذي تولي الإمامة عام 1692م على تأسيس إمبراطورية عربية عمانية على أنقاض إمبراطورية البرتغال ، ويبدو أن تلك الفكرة قد داعبت خياله في يوم من الأيام ، ولكن ضعف مركزه داخل سلطنته جعله يهمل تنفيذ ذلك المشروع ، وبذلك تأخر تأسيس

---

(4) Coupland, R; : East Africa and its Invaders, P.67.

(5) د. أحمد شلبي : موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، ج 2 ، ص 408 .

الإمبراطورية العربية إلى نيف ومائة عام حينما قام بها سعيد بن سلطان البو سعيدي الذي حكم من عام 1806م إلى عام 1856م[1].

ولكن سيطرة اليعاربة على ساحل الزنج كانت سيطرة أسمية ، إذ أن المشكلات التي واجهتها الدولة في عمان ذاتها ـ بالصراع على السلطة ـ جعل الأئمة لا يملكون الوقت الذي يتمكنون فيه من تفقد المدن الخاضعة لهم في شرق أفريقيا ، وكان الصراع الداخلي والصراع مع البرتغاليين سبباً من أسباب تفكك الدولة اليعربية وانهيارها في عمان وشرق أفريقيا ، وهذا الصراع أنهك قوى الدولة وأضعف نفوذها وأنهى سيادتها في شرق أفريقيا.[2]

وقد اعتبر الكثير من المؤرخين أنه بتولي " محمد بن عثمان المزروعي" الحكم في " ممبسة " تحت السيادة اليعربية بداية النهاية للسيطرة اليعربية في شرق أفريقيا ، ذلك أن الخلاف اشتد في عمان نفسها بعد وفاة الإمام " سيف ابن سلطان بن سيف " عام 1741م ، مما أدى إلى نشوب الحرب الأهلية بين قبائل "الهناوية" و " الغفارية" أي بين عرب الجنوب وعرب الشمال ، مما أدى بالإمام إلى الاستعانة بالفرس ضد منافسيه على الإمامة ، ولكن الفرس كانت لهم أطماعهم الاستعمارية ، ومن ثم بقيت " صحار " فقط تقاوم الحكم الفارسي ، واستطاع حاكمها فيما بعد أن يؤسس دولة تعتبر من أقوى الدول التي حكمت عمان وشرق أفريقيا ، وهي دولة البو سعيد[1] .

---

(1) د . جمال زكريا : دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ، ص 23 .

(2) عائشة السيار : المرجع السابق ، ص ص 103 ، 104 .

(1) د . جمال زكريا : الأصول التاريخية ، ص 113 .

وقد استفاد " محمد بن عثمان المزروعي " من سقوط اليعاربة في عمان لكي يعلن انفصاله عن عمان بدعوى أنه مازال على ولائه لليعاربة، ويرفض التبعية " لأحمد بن سعيد البو سعيدي " ، وقد نجح " المزروعي" في إثارة العديد من المدن الأفريقية وأقنعها برفض تبعيتها للحكم الجديد في عمان . إلا أنه فشل مع مدن وجزر أخرى ظلت على ولائها لعمان تحت حكم البوسعيديين مثل " زنجبار" و " بات " و " كلوة " و " مركة "[2]

ورغم أن سيطرة اليعاربة على ساحل الزنج كانت أسمية إلا أن التأثير العربي في ذلك الساحل استمر ونشط ، فإلى جانب التجارة التي تأثرت بالوجود البرتغالي ، فقد استمر العرب يزرعون ويعلمون الأفارقة الزراعة ، فغرسوا عددا لا يحصى من أشجار جزيرة العرب وفارس مثل المانجو ، والرمان ، والأترج ، وقصب السكر، وأدخلوا زراعة القطن والسمسم الهندي والبهارات الهندية والأرز ، وأتوا بكثير من حيوانات بلدانهم كالإبل ، ومن ثم بقيت المدنية الإسلامية قروناً طويلة في هذه السواحل حتى أدخلها العرب إلى الداخل في القرن التاسع عشر[3] .

(ج) دولة البو سعيد :

بدأ حكم السادة البوسعيديين في عمان بأولهم " أحمد بن سعيد " في عام 1154هـ الموافق لعام 1741م ، وخلفه أبنه "سعيد" عام 1198هـ الموافق لعام 1783م ، ثم الابن الثاني للإمام الأول وشقيق الثاني وهو " حمد " عام 1203هـ الموافق 1789م ، الذي نقل العاصمة من " الرستاق

(2) نفس المصدر ، ص 115 .

(3) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ، مجلد 2 ، ج 2 ، ص 73.

" إلى "مسقط" ثم خلفه " سلطان بن أحمد " من عام 1206هـ الموافق عام 1792م ، ثم خلفه بدر بن سيف عام 1219هـ الموافق 1804م ، ثم كان أعظمهم "سعيد ابن سلطان" الذي حكم من عام 1222هـ الموافق 1806م [1].

ورغم ضعف السيادة العمانية على شرق أفريقيا قبل عهد " سعيد بن سلطان " فقد حرص سلاطين البوسعيد على إنعاش العلاقات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا ، ومن ذلك أن الإمام "أحمد بن سعيد" أول حكام الأسرة اكتفى بالعمل على تشجيع التجارة واستمرارها بين عمان وشرق أفريقيا ، فكان يرسل في كل عام مجموعة من سفنه لتأتي له بالموارد الأفريقية من المقاطعات التي كانت تعترف له بالسيادة ، أما المقاطعات الأخرى التي لم تعترف بسيادته فقد حرص على ألا يفرض سيادته عليها بالقوة خوفاً من انقطاع الصلات التجارية بينها وبين عمان[2] .

وعندما تولى "سلطان بن أحمد" اتجه إلى تركيز السيطرة العمانية الفعلية على مدن وجزر الساحل الأفريقي ، بما كان يمتلكه من قوة بحرية تكونت من خمسمائة سفينة إلى جانب مائة سفينة أخرى يمتلكها أهل " صور" ومن الطبيعي في مثل هذه الظروف أن تنمو العلاقات بين مسقط والعالم الخارجي[1] .

---

(1) د . محمد مرسي عبد الله : إمارات الساحل وعمان ، ص 71 ، 72 .

(2) د . جمال زكريا : دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ، ص 95 .

(1) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص 53 .

وعندما تولى السلطنة " سعيد بن سلطان " من عام 1806 ـ 1856م الموافق (1222 ـ 1272هـ) شهد المحيط الهندي قيام دولة عربية أفريقية كبرى امتدت من عمان إلى شرق أفريقيا في زنجبار ـ ساحل الزنج ـ ، وإلى شخصية سعيد يرجع الفضل في ذلك ، حيث كان حاكماً عظيماً فرض شخصيته على مسرح الحكم ، ووصفه أحد مترجمي حياته بأنه استطاع بفضل العون الرباني الذي تفضل الله به عليه أن يخضع ملوك عصره ، وأن ينال العزة في حروب خاضها ضد أعدائه ، ففتح بالسيف بلاداً لم تكن معروفة ، وشق الطريق فوق هامات العصاة المقطوعة[2] .

ويعتبر عصر السلطان "سعيد بن سلطان " من أزهى العصور التي مرت بعمان وشرق أفريقيا خلال القرن التاسع عشر ، إن لم يكن أكثرها ازدهاراً رغم الصعوبات الكثيرة التي واجهته في بناء الدولة ، وقد اعتبر أبرز الشخصيات في أسرة البوسعيد التي لعبت دوراً بارزاً في تاريخ عمان وشرق أفريقيا ، ولا نكون مبالغين إذا اعتبرناه من الشخصيات الهامة جداً في تاريخ العرب الحديث والمعاصر[3]. وقد اشتهر بأنه "السيد البحار" إذ سافر مسافات كبيرة في البحر ، وكان يشعر بسعادة كبيرة وهو يقود بنفسه سفينته التي تتقدم أسطوله التجاري المكون من عشرين سفينة ،

---

(2) دونالد هولي : عمان ونهضتها الحديثة ، ص 47 .

(3) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص 116 .

والتي كانت تسمى " شاه علم " ، فلا عجب أن يـولي اهتمامـه بقـوات السلطنة البحرية الكبيرة[4] .

ونظراً لقوة السيد سعيد ، وقوة سلطنته في عهده اهتم بشرق أفريقيا ، بل إنه نقل عاصمة حكمه من مسقط إلى جزيرة زنجبار عام 1832م،وإن جاءت إقامته الدائمة في زنجبار العاصمة الجديدة في عـام 1840م[1]. إذ ظل من عام 1832م إلى عام 1840م متنقلاً من مسقط إلى زنجبار ، ولا شك أن هناك دوافع كثيرة دفعت به إلى الانتقال من مسقط إلى زنجبـار ، من ذلك أهمية جزيرة زنجبار باعتبارها مركزاً وسيطاً للتجارة وعمليـات التبادل التجاري لمقاطعات الشرق الأفريقي ، هذا فضلاً عما تتمتـع بـه جزيرة زنجبار وغيرها من جزر ومقاطعات شرق أفريقيـا مـن مـوارد كثيرة[2].

وكانت هناك دوافع أخرى وراء انتقال السلطان سعيد إلـى زنجبـار منها أن جزيرة زنجبار تمتلئ بالتجار العرب الذين ينقلون منتجات شـرق أفريقيا إلى بلادهم ، أو إلى البلاد التي تطلبها ، وقد نجح الـسلطان فـي تأكيد نفوذه على ساحل الزنج بأكمله ، بالقضاء دون عناء كبير على كـل المناوئين لمشروعاته ، وبانتقاله إلى زنجبار تبدأ المؤثرات الفعالـة فـي تاريخ زنجبار وشرق أفريقيا بصفة عامة ، ووضـع الأسـس الـسياسية والاقتصادية التي سيترتب عليها مركز السلطنة[3] .

وقد وفد مع السلطان سعيد إلى زنجبار مئـات مـن عـرب عمـان والجزيرة العربية ، وبهم وبمن سبقهم من عـرب وضـحت المـؤثرات

---

(4) دونالد هولي : المرجع السابق ، ص 48 .

(1) Coupland, R; op, cit, p. 296.

(2) د. جمال زكريا : الأصول التاريخية ، ص 205 .

(3) Coupland, R; : op, cit, p. 298.

الحضارية التي لم تتوقف على أرض جزيرة زنجبار وساحل الزنج فقط ، بل وضحت كذلك في داخل القارة وامتدت إلى حوض نهر الكنغو ، وقد تزايد عدد السكان العرب تزايداً مطرداً خلال عهد السلطنة العربية ، وكان عرب زنجبار يشكلون الطبقة الأرستقراطية ، إذ كانت تقع في أيديهم ملكية أكثر الأراضي ، ويبدو أن السلطان سعيد حرص على أن يكون للعرب ذلك المركز الممتاز، إذ تعمد أن يأخذ معه عند انتقاله إلى زنجبار أغنياء العرب وأثرياء التجار[1]. وكان أكثر هؤلاء العرب هم عرب عمان الذين ازدهرت بهم السلطنة العربية في زنجبار بعد قدومهم إليها[2].

وخلف السلطان سعيد في حكم زنجبار ــ ساحل الزنج ــ أبناءه "ماجد" من عام 1856م إلى عام 1870م ، وهو عام وفاته ، وكان " ماجد " أكثر أبناء السلطان سعيد رباطة جأش واقلهم غطرسة وزهواً ، ولذلك كانت له شعبية واسعة ، وقد أحبه أبوه كثيراً بسبب هذه الصفات . وجاء بعد "ماجد" أخوه "برغش" الذي جاء إلى الحكم في يوم الاثنين 14 رجب عام 1287هـ الموافق 10 أكتوبر عام 1870م ، وظل في الحكم حتى وفاته في 14 رجب عام 1305هـ الموافق 27 مارس عام 1888م . و"برغش" الابن السابع للسلطان سعيد ، ثم جاء بعده أخوه خليفة الابن السابع عشر للسلطان سعيد ، وقد ظل في الحكم حتى وفاته في بلدة " شوكوا " في صباح الخميس 22 جمادي الثانية 1307هـ الموافق 13 فبراير 1890م ، وكان آخر حكام زنجبار من أبناء السلطان سعيد هو على الابن الثامن عشر للسلطان سعيد ، والذي ظل في الحكم ــ منذ ولايته بعد أخيه خليفة ــ حتى وفاته في 16 شعبان عام 1310هـ

---

(1) د. جمال زكريا : دولة بو سعيد ، ص 218 .

(2) نفس المرجع ، ص ص 208 ، 209 .

الموافق 6 مارس 1893م . وكان على هذا يسمى "منين" ولما توفي أخوه الأكبر سمي باسم " علي " على أسمه[3] .

وقد وضعت زنجبار تحت الحماية البريطانية في 4 نوفمبر 1890م هي و " بمبا "، وكان ذلك يعني ببساطة وضع حكومتها وأدارتها مستقبلاً في أيدي مسئولين بريطانيين ، رغم أن الجزيرتين ظلتا تحت حكم السلطان ، لكن السلطان لم يعد مستقلاً أو يتمتع بسلطات واسعة، وإنما هو مجرد حاكم أسمى للجزيرتين ، وجاء ذلك تمشياً مع التسابق الاستعماري لاقتسام أفريقيا بين الدول الأوروبية خاصة انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ، ومنذ وفاة السلطان " علي " عام 1893م ، تولى السلطنة في زنجبار تحت الحماية البريطانية سلاطين من البوسعيديين أيضاً ، حتى انتهت الحماية البريطانية في 10 ديسمبر عام 1963م، حيث تغير لقب السلطان من سموه إلى جلالته ، ولكن هذا الاستقلال لم يدم أكثر من شهر، ففي 11 يناير 1964 صدرت من داخل أفريقيا إلى زنجبار عملية انقلاب دموي أطاحت بالحكومة الشرعية وقتل آلاف الأبرياء ، وهرب السلطان إلي انجلترا ، أما العرب الناجون من الموت فقد توجهوا إلى وطنهم الأم عمان وإلى دبي ، وتلى ذلك ضم زنجبار إلى تنجانيقا حيث أقيمت دولة موحدة عرفت باسم تنزانيا عاصمتها دار السلام[1]

وكان للسلطنة العربية العمانية ـ خلال القرن التاسع عشر ـ في شرق أفريقيا تأثيرات حضارية متنوعة ، فقد ازدهرت الزراعة في ساحل الزنج وجزره وخاصة جزيرتي "زنجبار" و "بمبا"، واشتهر من

---

(3) عبد الله بن صالح الفارسي : البو سعيديون حكام زنجبار ، ص 10 ـ 22 .

(1) أحمد محمود المعمري : عمان وشرقي أفريقية ، ص ص 99 ـ 107 .

المزروعات القرنفل وقصب السكر ، حتى أن الجزيرتين المشار إليهما لا تزالان تقومان حتى الوقت الحاضر بإمداد العالم بالجزء الأكبر من احتياجاته من القرنفل ، إذ يقدر ما تنتجه الجزيرتان من القرنفل بحوالي 90% من الإنتاج العالمي من هذا المحصول.[2]

وحظيت التجارة بالاهتمام الأكبر للسلطنة البوسعيدية بشرق أفريقيا ، لأن البوسعيديون اعتمدوا على التجارة الاعتماد الكبير في بناء السلطنة اقتصادياً وسياسياً ، وسيطروا في سبيل ذلك على مياه المحيط الهندي وساحل أفريقيا الشرقي وداخل القارة الأفريقية حتى حوض نهر الكنغو . وفي هذا المقام فقد عملت السلطنة على تحقيق اتصال بين اقتصاد شرق أفريقيا والاقتصاد العالمي عن طريق مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات التجارية ، التي عقدها بعض السلاطين مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، وبعض الدول الأوروبية مثل انجلترا وفرنسا وبعض الإمارات الألمانية[1] .

فقد تم توقيع الاتفاقية التجارية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية في 21 سبتمبر 1833م ، وكانت أول اتفاقية تجارية يعقدها السلطان " سعيد بن سلطان " مع دولة كبرى ، وقد صارت تلك الاتفاقية المثل الذي سارت على منواله معاهدات السلطنة مع كل من بريطانيا عام 1839م ، ومع فرنسا عام 1844م ، وقد ظلت الاتفاقية الأمريكية العمانية

(2) Coupland, R, : The Exploitation of East Africa, P.4.

(1) د . محمد أمين : المرجع السابق ، ص 97 .

سارية المفعول حتى عام 1958م ، حين أبطل مفعولها واستبدلت بمعاهدة جديدة للصداقة والعلاقات الاقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين .

وقد أدت الاتفاقية التجارية بين سلطنة عمان وزنجبار والولايات المتحدة الأمريكية إلى ازدهار التجارة الأمريكية في ممتلكات السلطنة الإفريقية أكثر من ازدهارها في مسقط ، إذ تزايد عدد السفن الأمريكية التي ترسو في زنجبار ، والتي تحمل قماشاً قطنياً أمريكياً متيناً سرعان ما شاع استعماله في شرق أفريقيا والخليج العربي والجزيرة العربية ، إلى جانب الملاءات والشراشيف القطنية والآنية المنزلية والبنادق والبارود ومخزونات السفن والساعات والأحذية ، وفي المقابل تحمل من زنجبار القرنفل والعاج وصمغ الكوبال الراتنجي الذي يستخدم في تحضير الطلاء ولب جوز الهند المجفف والتوابل[1] .

ورغم وجود السلطنة العربية العمانية البوسعيدية في شرق أفريقيا ، فإن العرب الذين توغلوا داخل القارة للتجارة وكونوا جاليات متناثرة في هذه المناطق حتى حوض نهر الكونغو لم يعتنوا بإقامة كيانات سياسية تخضع تلك البلاد وأهلها لتنظيمات سياسية أو تلحقها بالسلطنة العربية على الساحل ، وقد اختلف العرب في ذلك عن الأوروبيين الذين كان رجالهم يضعون أيديهم على مساحات كبيرة من الأراضي ويحتكرون تجارتها ، وهم يستندون في نشاطهم هذا إلى تأييد دولهم القوية وحمايتها[2] .

(1) دونالد هولي : المرجع السابق ، ص 187 .

(2) د . محمد أمين : المرجع السابق ، ص 98 .

وإذا كانت الجماعات العربية داخل أفريقيا قد أهملت إقامة نظم سياسية ــ إمارات أو سلطنات أو ممالك ــ فإنها نجحت في إقامة تنظيمات تجارية بإيجاد خطوط منتظمة من القوافل تصل بين ساحل أفريقيا الشرقي والداخل , وأصبحت زنجبار بمثابة المركز الرئيسي للتجارة ، وعن طريق رحلات العرب إلى الداخل وتأمين طرق القوافل بين الساحل والداخل ظهرت محطات ومستوطنات عربية عديدة على طول الخطوط التجارية التي كانت تطرقها قوافل التجارة العربية.

وقد نجحت القوافل التجارية في أن تمد نشاطها من الساحل باتجاه الداخل حيث وصلت إلى وسط وغرب أفريقيا ، إذ وصلت هذه القوافل العربية إلى المناطق التي بها بحيرات وسط أفريقيا مثل " نياسا " و "تنجانيقا" و"فيكتوريا نيانزا" . كما وصلت إلى أعالي نهري النيل والكونغو، بحثاً عن العاج والرقيق ، وكانت هذه الصفة التجارية التي طبعت العرب في الساحل والداخل امتداداً من سلطنة زنجبار العربية قد حالت دون قيام فواصل حادة تحدد مدى اتساع السلطنة في الداخل(1).

وكانت المراكز والمستوطنات العربية داخل أفريقيا ، تخضع بصورة مباشرة أو غير مباشرة للسلطنة العمانية العربية في الساحل الشرقي لأفريقيا، وقد سجل لنا التاريخ أن سلطان زنجبار كان يعين حكاماً محليين من أهالي البلاد يدينون له بالتبعية والولاء ، وفي بعض الأحيان يرسل بحكام من العرب ، أو السواحيليين مع حامية قليلة العدد يعمل الحكام على زيادة عددها باستخدام السكان المحليين بحيث يتم حفظ نفوذ السلطان وسيطرته .

(1) Coupland, R, : East Africa and its Invaders, P.297.

وقد انتشرت في كل ممتلكات السلطنة بين الساحل والداخل شبكة من خطوط القوافل التجارية ، وقد شملت هذه الخطوط كلاً من شواطئ البحيرات نياسا وتنجانيقا وفيكتوريا ، وتحمل معها نفوذ السلطنة السياسي ، بل وشملت أيضاً الأجزاء الشرقية من الكونغو والمنطقة المحيطة بالبحيرات العظمي بوسط أفريقيا ، حتى قيل أنه حينما يلعب أحد على المزمار في زنجبار يرقص الناس طرباً على البحيرات[2] .

وعلى الرغم من أن سلطنة زنجبار العربية لم تكن لها سوى سيطرة اسمية داخل أفريقيا ، خاصة كلما بعدت المستوطنات ، والمراكز العربية وتوغلت في الداخل ، إلا أن التقارير التي كان يبعث بها الرواد والمبشرون الأوروبيون إلى الجمعيات التبشيرية، أو الجغرافية الموفدون من قبلها أشارت إلى أهمية خطابات التوصية التي كانوا يحرصون على الحصول عليها من سلطان زنجبار العربي ، لأن عرب الداخل وغيرهم من رؤساء الولايات الأفريقية كانوا يحترمون الأوامر والتعليمات ، التي تصدر إليهم من حكام السلطنة العربية في زنجبار[1]. بل إن كثيراً من قبائل البانتو قنعت بالعيش حول المراكز التي أنشأها العرب وتحت حمايتهم[2].

وقد سجل المستكشفون الأوروبيون وغيرهم من المؤرخين الذين اهتموا بشرق أفريقيا كيف أن العرب كانوا أول من حاولوا استكشاف مناطق شرق ووسط أفريقيا ، وأن المستكشفين الأوروبيين ساروا في الخطوط التي خطها العرب لقوافلهم ، وتمتعوا بالأمن الذي ضمنه العرب

---

(2) د . جمال زكريا : الأصول التاريخية ، ص 206 .

(1) Coupland, R,: op. cit, P. 307.

(2) د . جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 234 ــ 235 .

لقوافلهم ، وتمتعوا بالأمن الذي ضمنه العرب على طول هـذه الخطـوط وفي المحطات والمراكز والمستوطنات ، سواء في " أوجيجي " أو فـي " بجمايو " أو في " أوزانجا " ، أو في " طابورة " وفي " جازنجا " ، بل أن أحد التجار العرب المولود من أب عربي وأم أفريقية عرف باسم " سـناي بن عامر " سيطر في عام 1852م على المنطقة الممتدة من "طابورة" إلى "كمبالا" في إقليم " بوغندة " ، ومما يذكر أن ملك بوغندة قد رحب بالعرب ترحيباً كبيراً ، واستعان بهم في التغلب على خصومه ومنافسيه من مملكة " أونيورو "[3].

ولا يمكن إغفال المساعدات الكبيرة التي قـدمتها سـلطنة زنجبـار العربية للمستكشفين الأوروبيين في شـرق أفريقيـا ، وبفـضل مـساعدة السلطان سعيد وأبنائه من بعده نجح العديد من المبـشرين فـي تأسـيس مراكز تبشيرية داخل أفريقيا، كذلك نجحت إحـدى البعثـات التبـشيرية الفرنسية الكاثوليكية في تأسيس مستشفى ومدرستين ، لتعليم أبناء الأفارقة في المقاطعات التابعة لسلطنة زنجبار ، كما حذا الإنجليز حذو الفرنـسيين في ممارسة بعض أنواع من النشاط التبشيري[1] .

كما أن كلاً من "ريتـشارد بيرتـون" Richard Berton و "سـبيك" Speek وهما مستكشفان بريطانيان ، أشادا بمعاملة السلطان سعيد لهما ، وتقديمه المساعدات التي كفلت لهما بدء رحلاتهما الاستكشافية من شـرق أفريقيا عام 1856م ، حيث بدأ رحلتهما من ساحل أفريقيا الشرقي المواجه

---

(3) د . محمد أمين : المرجع السابق ، ص 100 .

(1) د . جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 213 .

لجزيرة زنجبار باتجاه منابع النيل العليا(2). كما أمدتهما السلطنة العربية العمانية من زنجبار حين عادا مرة ثانية عام 1860م بقوة عسكرية لحمايتهما مع بعض الأدلاء العرب الذين يعرفون مسالك ودروب مناطق شرق ووسط أفريقيا ، وقد وصلا إلى " أوجيجي" على بحيرة " تنجانيقا " ، التي كانت من أعظم المستوطنات العربية،حيث كانت تنتهي عندها إحدى طرق القوافل الرئيسية(3) كما أن " سبيك " تحدث عن المحطات التجارية التي أنشأها العرب هناك ، وذكر أنه قضى بضعة أيام في منزل عربي وتمتع بالكرم العربي الأصيل ، وأكد أنه بوجوده وسط جماعات عربية شعر أنه يعيش في بلاد متحضرة(4).

وكان المستكشف الإنجليزي لفنجستون Livingeston أكثر المستكشفين الأوروبيين تقديراً لدور العرب ولسلطنة زنجبار العمانية في بناء حضارة عربية بشرق أفريقيا ، واعترافاً بالمساعدات الكبيرة التي قدمها له السلطان "ماجد بن سعيد" في عام 1865م،وكان السلطان قد استقبل لفنجستون استقبالاً طيباً ، وزوده بكثير من خطابات التوصية إلى الروساء العرب التابعين له داخل أفريقيا الشرقية(1).وقد استفاد لفنجستون من نفوذ سلطنة زنجبار العربية في شرق ووسط أفريقيا ، بل وفي الكونغو ، كما استفاد من الأدلاء العرب في كشف نهر الزمبيزي والمناطق المحيطة بالبحيرات في وسط أفريقيا وشرقها حتى توفي عند

---

(2) د . رأفت الشيخ : أفريقيا في العلاقات الدولية ، ص 91 .

(3) د . جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 238 .

(4) Coupland, R,: The Exploitation of East Africa, P. 324.

(1) د. جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 239 .

أوجيجي عام 1872م[2] . كما أشاد بما قدمه له "حميد الدين المرجبي" في الكونغو من مساعدات ومعلومات ، عن الطرق الآمنة والمسالك المأهولة بالسكان المتحضرين ، والمحطات العربية في هذه الجهات .

كما أن الرحالة الأمريكي المولد البريطاني الهوية " هنري ستانلي " Henry Stanley ، وقد اشترك مع لفنجستون في استكمال كشف بحيرة تنجانيقا عام 1871م ، كان قد أرسل من قبل صحيفتي " النيويورك هيرالد" New York Herald و"الديلي تلجراف" Daily Telegraph لكشف مابقي في أواسط أفريقيا من أراض لم تكتشف بعد[3]. وعندما اخترق ستانلي القارة الأفريقية من الشرق باتجاه الكنغو عند عودته الثانية باسم الملك ليوبولد ملك بلجيكا وصاحب دولة الكنغو الحرة ، أشاد بالمساعدات التي قدمها له السلطان "برغش بن سعيد" سلطان زنجبار الذي أمده بقوة عسكرية لحمايته أثناء رحلاته داخل القارة ، كما أشاد بالمساعدات التي قدمها له أيضاً "حميد الدين المرجبي" في الكونغو .

وحتى أثناء تكليف ستانلي بقيادة حملة إنقاذ أمين باشا حاكم مديرية خط الاستواء السودانية منذ عام 1887م ، استفاد من مساعدات " حميد الدين المرجبي " ، ومن الأدلاء العرب في الكنغو وفي أواسط أفريقيا للوصول إلى هدفه ، وشعر بالوجود العربي وبالمجتمعات التي تأثرت بالحضارة العربية الإسلامية في كل الطرق التي سلكها ، وفي كل جانب من حياة تلك المجتمعات .

---

(2) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ، ص 90 .

(3) Coupland, R, : op. cit., P. 324.

(د) دولة تيبوتيب في الكنغو :

ارتبط الوجود العربي في الكنغو بالمراكز والمستوطنات العربية التي امتدت من ساحل أفريقيا إلى الداخل ، كما ارتبط بسلطنة زنجبار العربية ، وارتبط أيضاً بشخصية عربية عمانية هو "حميد الدين المرجبي" الذي عرف باسم آخر واشتهر به وهو "تيبوتيب" . الذي ينتمي إلى قبيلة " المراجبة " العمانية التي رحلت إلى شرق أفريقيا أثناء حكم اليعاربة ، وساهمت في تصفية الوجود البرتغالي بساحل الزنج ، وقد ولد " حميد الدين " أثناء حكم السلطان سعيد بن سلطان (بين سنتي 1830 و 1840م) في مدينة "طابورة". ومن ثم ظهر نشاطه السياسي والاقتصادي في عهد كل من "ماجد" و "برغش" ابني السلطان سعيد .

ورغم أن "حميد الدين" قد نشط اقتصادياً وسياسياً في مناطق "طابورة" و"أوجيجي" تحت سيادة سلطنة زنجبار العربية ، فإن نشاطه في الكنغو كان أكثر ظهوراً وأطول أمداً ، إذ شهد عام 1870م قيام حميد الدين بقيادة حملة لضم المناطق الواقعة بين فرعين من فروع نهر الكنغو في مقاطعة "أوتيرا" ، حيث أخذ يمارس سيطرة سياسية وتجارية مباشرة ، وضحت في فرضه الضرائب وقيامه بدور التحكيم في المنازعات التي تنشب بين القبائل . كما أعطي لنفسه حق عزل الرؤساء وتعيين الأوصياء . ومن ثم صارت قوته يحسب حسابها في مقاطعات كثيرة بوسط أفريقيا[1].

وقد استعان السلطان "برغش بن سعيد " أثناء حكمه بحميد الدين في تأكيد نفوذ السلطنة داخل أفريقيا ، خاصة عندما بدأ ملك بلجيكا ليوبولد

---

(1) د . جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 242.

الثاني القيام ببناء مستعمرة شخصية في حوض نهر الكنغو تحقق مطامحه الاستعمارية بأسلوب هادئ لا يثير ضجيجاً[2]. وذلك تحت ستار جمعية الكنغو الدولية التي أسسها ليوبولد عام 1878م ، تحت رئاسته وبتمويل منه شخصياً واستخدم المستكشف " ستانلي " وكيلاً للجمعية في أفريقيا[3] . يقوم بعقد معاهدات مع زعماء المنطقة يعترفون فيها بحماية الجمعية الدولية للكنغو ، حتى تستطيع الجمعية أن تثبت أمام مؤتمر برلين عامي 1884 – 1885م أنها مسيطرة بالفعل على حوض نهر الكنغو كله[4].

ونتيجة لنشاط ستانلي في الكنغو خشى السلطان " برغش بن سعيد " أن تتحول التجارة في أواسط أفريقيا من الساحل الشرقي حيث تسيطر سلطنته العربية إلى الساحل الغربي ، حيث يسيطر الملك ليوبولد الثاني . ومن ثم طلب " برغش " من " حميد الدين " التوسع في الكنغو ووسط أفريقيا باسم سلطنة زنجبار العربية ، وقد نجح " حميد الدين " بالفعل خاصة بين عامي 1883م و 1886م ، حيث أكد نفوذ السلطنة في الكنغو ، وحاول أن يقرن النفوذ الاقتصادي للعرب في تلك الجهات بتنظيم سياسي يتبع السلطنة في زنجبار ويدين لها بالولاء ، ونتج عن محاولاته هذه السيطرة على معظم مقاطعات الكنغو حيث عين وكلاء للعمل في هذه المناطق لإقرار الأمن وتحصيل الضرائب من القبائل التي تدين له وللسلطنة بالولاء[1].

---

(2) Coupland, R, : The Exploitation of East Africa, P. 329.

(3) Bartlett, V. : Struggle for Africa, P.95.

(4) بازيل دافيدسون : صحوة أفريقيا ، ص 75.

(1) د . جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 243 .

ولكن " حميد الدين " تعرض للمؤامرات الاستعمارية ، كما تعرضت سلطنة زنجبار لها ، فبينما اعترف مؤتمر برلين في قراراته التي صدرت في 26 فبراير 1885م بحياد الكنغو وسلطة بلجيكا عليه ، وإقرار مبدأ حرية التجارة والملاحة في النهر الواقع تحت المطامع البلجيكية(2). بدأت انجلترا تضغط على سلطنة زنجبار العربية من أجل تقليص الوجود والسيادة العربية بشرق أفريقيا ، واقتسام ممتلكات السلطنة على الساحل وفي الداخل ، تلك العملية التي حدثت عام 1886م بالتعاون بين انجلترا وألمانيا وفرنسا .

وقد أدرك السلطان " برغش بن سعيد " قرب وقوع مؤامرة اقتسام ممتلكات السلطنة في شرق ووسط أفريقيا قبل وقوعها بعشر سنوات — أي عام 1876م — حيث عرف القوى التي تسعى للوثوب على شرق أفريقيا ، وعرف أن عبارات " الانفتاح " و " التمدين " و " التنمية " التي يطلقها الأوربيون كهدف يسعون إليه بالنسبة لتلك المناطق الأفريقية عن طريق رجالهم من علماء ومستكشفين ورجال أعمال ومبشرين ، إنما هي ادعاءات تقوم على أن " تمدين " تلك المناطق الأفريقية أمر واجب نحو أهلها ، وأنه إذا لم يكن السلطان العربي " برغش " قادراً على حماية تلك المناطق ، فإن دولة أوروبية أو أخرى على استعداد لبذل الجهود لتحقيق ذلك الادعاء(3) .

ونتيجة للمؤامرات الاستعمارية في الكنغو وشرق أفريقيا على حساب السلطنة العربية في زنجبار ، تقلص نشاط "حميد الدين المرجبي" في

---

(2) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ، ص 97 .

(3) Coupland, R, : op. cit., P. 306.

الكنغو ووسط أفريقيا ، بل إنه فقد سنده الأكبر ، وأعني سلطنة زنجبار العربية ، التي خضعت للنفوذ الإنجليزي منذ عام 1886م ، ومع ذلك فقد حاول الاحتفاظ بالوجود العربي في الكنغو أمام ضغط دولة الكنغو الحرة البلجيكية ، وقد اضطر للتعاون مع هذه الدولة عام 1889م ، وقبل وظيفة حاكم عام على الكنغو بمرتب ثلاثون جنيها شهرياً على أن يرفع علماً خاصاً وأن يوافق على قبول موظف بلجيكي يعاونه في مباشرة اتصالاته الخارجية[1] ، وفي مقابل ذلك يقدم " حميد الدين " مساعداته لحملة ستانلي المتوجهة لإنقاذ " أمين باشا " حاكم مديرية خط الاستواء السودانية .

ورغم أن البلجيك ما لبثوا أن عزلوا " حميد الدين " من وظيفته وقضوا على حركة أنصاره واستولوا على تجارته ومراكزه ، فإنهم ــ أي البلجيك ــ استفادوا من سياسة حميد الدين في تلك المناطق، حيث أخضع القبائل العربية والأفريقية المناوئة ، كما استفادوا من سياسته في إنشاء كثير من الأعمال العمرانية كمد السكك الحديدية وتمهيد الطرق وإتباع نظام دقيق للنقل النهري، وإن كان العرب قد فقدوا بعزل " حميد الدين " وانتقاله إلى زنجبار ، حيث توفي ودفن هناك ، دورهم المجيد الذي قاموا به في الكنغو ليحل محله دور الاستعمار الأوروبي ببعثاته التبشيرية ورجال أعماله المستغلين .

وقد سجل البلجيكيون أنفسهم التأثيرات الحضارية العربية في الكنغو ، إذ ذكر أحدهم زار الكنغو بعد انهيار دولة " حميد الدين المرجبي " هناك أن التجار العرب مازالوا أكبر التجار هناك ، ولهم علاقات مع عرب زنجبار وعرب أوغندة ، وعرب المستعمرات الألمانية بشرق

(1) د . جمال زكريا : المرجع السابق ، ص 244 .

أفريقيا ، وأن العنصر العربي لا يزال عظيماً في جهـات " كاسـونجو " حيث ترى العرب يلبسون جبباً بيـضاء ، ويتلفعـون بكوفيـات مطـرزة تطريزاً بديعاً ، سيماهم تدل على الكرامة والوقار ، وحركاتهم وسـكناتهم مقرونة بالأدب التام والكياسة المتناهية والرصانة الفائقة[1] .

ويضيف الكاتب البلجيكي فيذكر أن أبواب المنازل وشـبابيكها كلهـا منقوشة وعلى الأبواب كتابات عربية هي آيات مـن القـرآن الكـريم ، والمدن جميلة ونظيفة ، والمسحة العربية بادية عليها ، وعـادات العـرب في الكرم واضحة ، ويقدمون القهوة العربية ، وقد لاحظ الكاتب البلجيكي أن هناك عرباً خلص ومستعربين ، وهناك أيـضاً سـواحيليون سـماهم زنجباريين[2] .

كما سجل رحالة سويدي زار الكنغو عام 1886م ، وتجول في مدينة "نيانجوي" Niangwe التأثيرات العربية هناك ، فذكر أن هذه المدينة هي مقر العرب الأصلي ، وبها أفخر المزارع ، وجميـع الأشـجار المثمـرة مجلوبة من أفريقيا الشرقية ، كما أن العرب أدخلوا فيها كـذلك المواشـي والحمير الفارهة للركوب . وأن هناك نهراً يتفرع من نهر الكنغو ، ويمتد نحو 315 كيلومترا ، وعلى جانبيه توجد قرى يسكنها عرب مستعربون . ووصف العرب بالنظافة والإتقان في العمل ، وأن المـستعربين والعبيـد الذين يخدمونهم يشكلون قرى تحيط بها مـزارع أرز واسـعة ، وهنـاك كتاتيب تعلم الصبية القرآن الكريم ، والأهالي العرب عنـصر جيـد فـي الكنغو ، لأنهم قائمون بالزراعة ، متحضرون بطبعهم ، ولديهم ميل إلـى التعامل مع الجنس الأبـيض أي الأوروبيـين ، ويبيعـون سـلعهم فـي الأسواق ، التي تنتشر في المدن الكونغولية ، وقد تعامل معهم في مـدن "

---

(1) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، ص 59 .

(2) نفس المرجع ، ص 60 .

ستانلي فيل " ، و" بونتيـــار فيــل " ، و" لوكانـــدو " ، و" كيرونـــدو " وغيرها[1] .

فهرس الجداول والأشكال

(أ) الجداول:

(ب) الأشكال:

أهم مصادر البحث

(1) **عبد الرحمن زكي :** الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية ، القاهرة ، د.ت .
(2) **عبد الملك عودة :** السياسة والحكم في أفريقيا ، القاهرة ، 1959م .
(3) **حسن محمود :** الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، القاهرة ، 1963م .
(4) **رأفت الشيخ :** أفريقيا في العلاقات الدولية ، القاهرة ، 1975م .
(5) ،، ،، : أفريقيا في التاريخ المعاصر ، القاهرة ، 1982م .
(6) **جمال زكريا :** الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، القاهرة ، 1975م .
(7) ،، ،، : دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ، القاهرة ، 1967م .
(8) **محمد أمين :** تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطي - مجلد العلاقات العربية الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1978م.
(9) **عائشة السيار :** دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا 1624 - 1741م ، بيروت ، لبنان ، 1975م .
(10) **صلاح العقاد :** التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ، 1974م .
(11) **نور الدين السالمي :** تحفة الأعيان لسيرة أهل عمان ، 2 جزء ، مسقط ، 1974م .
(12) **أحمد شلبي :** موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، 10 أجزاء ، القاهرة ، د.ت .
(13) **لوثروب ستودارد :** ترجمة عجاج نويهض : حاضر العالم الإسلامي ، 4 أجزاء في مجلدين ، بيروت ، لبنان ، 1973م .
(14) **محمد مرسي :** إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى 1793 - 1818م ، القاهرة ، 1978م .
(15) **دونالد هولي :** عمان ونهضتها الحديثة ، مسقط ، 1979م .
(16) عبد الله بن صالح الفارسي: ترجمة محمد أمين عبد الله: البوسعيديون حكام زنجبار، القاهرة ، 1980م .
(17) **أحمد محمود المعمري :** ترجمة محمد أمين عبد الله: عمان وشرقي أفريقيا، القاهرة ، 1980م .
(18) **بازيل دافيدسون :** ترجمة عبد القادر حمزة : صحوة أفريقيا ، القاهرة 1956م .
(19) **Bartlett, V.** : Struggle for Africa , London. 1953.
(20) **Coupland. R,**: The Exploitation of East Africa, London. 1939.
(21) **Coupland,R,**: East Africa and its Invaders, Oxford, 1938.